د. نهى القاطرجي

أهمية العلم الشرعي في حياة المرأة

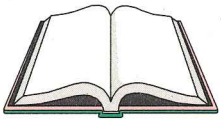

مؤسسة السنين

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ. ـ ١٩٩٨م.

مؤسسة السنين ـ طباعة، نشر، توزيع
ص. ب.: ١٤/٥١٦٧ ـ بيروت / لبنان

مقدمة

الحمد لله رب العالمين آمر الناس بالعلم بقوله: ﴿اقْرَأْ﴾، والصلاة والسلام على معلم الناس العلم.

وبعد،

لقد شجع الإسلام على العلم، فقد قرن الله سبحانه وتعالى بين العلم والإيمان في كثير من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1].

وأوضح الله سبحانه وتعالى أن العلم هو الذي يميز بين المؤمنين، فقال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

وهذا العلم الذي أراده رب العالمين هو العلم الشرعي الذي أمر به عباده في القرآن الكريم، وحث

---

(١) المجادلة: ١١. (٢) الزمر: ٩.

عليه الرسول عليه الصلاة والسلام في سنته النبوية، ولا يعني هذا أن العلم الدنيوي هو علم مكروه ترفضه الشريعة، بل إن المقصود هو أن يُقصَد بكل علم دنيوي أو أخروي التقرب من الله تعالى، والتعرف إلى مخلوقاته، ومشاهدة قدراته، وهذا الأمر حث عليه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾[1].

ففي هذه الآية دعوة إلى التفكر في عجائب المصنوعات، كما أن فيها توبيخاً للمعرضين عن تدبر حكمته في إبداع المخلوقات.

إلا أن ما حصل لكثير من الناس الذين لم يتفكروا في قدرة الله التي تجلت في خلقه، هو أنهم فصلوا بين الدين والعلم، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وحاربوه، وعملوا على إلهاء الناس بالعلم الدنيوي، محاولين تشكيك الناس بدينهم، ورافعين شعار الكفر والإلحاد.

وقد كان لدعوات التشكيك في الدين ونَبْذِه

---

(١) الأعراف: ١٨٥.

صداها في العالم الإسلامي، فانتشرت في السنوات الماضية الأحزاب الإلحادية، وتباهى كثير ممن كانوا ينتمون إلى الإسلام بانتمائهم لهذه الأحزاب، كما تباهوا بكفرهم وبعدهم عن الله سبحانه وتعالى.

وقد نالت المرأة المسلمة نصيباً كبيراً من الجهل بالدين الإسلامي الذي عانى منه الرجل، إذ انصرف عن تعليمها شؤون دينها بعد انصرافه عن تعليم نفسه هذه الشؤون، وتأثرت هي بالجو الإلحادي العام، فخلعت حجابها، واتجهت إلى الاشتراك في جمعيات أخذت تدعو إلى الإباحية والانصراف إلى الملذات والشهوات تحت ستار الحرية والمساواة.

إلا أن هذا الأمر لم يدم طويلاً بفضل من الله، إذ أخذت الصحوة الإسلامية طريقها إلى قلوب النساء، وأسرعت المرأة إلى الالتزام بحجابها الشرعي، كما أخذت تبحث عن السبل والطرق التي تساعدها على التثقف وتعلم أمور دينها، وأكبر دليل على ذلك هو هذه القراءة في هذا الكتيب الذي يتحدث عن «أهمية العلم الشرعي في حياة المرأة».

ماهية العلوم المطلوبة

فرض الله سبحانه وتعالى العلم على كل مسلم، ذكراً كان أو أنثى، فقد قال رسول الله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)[1].

فالعلم إذاً فرض[2] واجب على كل مسلم أن

---

(١) رواه ابن ماجة.

(٢) جاء في تعريف الفرض عند الجرجاني في كتاب التعريفات ص ٢١٣: «ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه، ويكفر جاحده، ويعذب تاركه»، والعلم الذي هو فرض هنا هو العلم (بكيفية العمل الواجب، فمن عَلِمَ العِلْمَ الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين... أما فرض الكفاية فهو الفرض الذي إذا قام به واحد كفى وسقط عن الآخرين)، انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ج١، ص١٢ ـ ١٦، بتصرف.

يسعى للتزود منه، ولا يعني هذا أن المطلوب من كل مسلم أن يعلم كل العلوم الشرعية، بل المطلوب منه معرفة ما ينجيه في الدنيا والآخرة، أما باقي العلوم فهي من اختصاص العلماء المتفرغين الذين وهبوا أنفسهم لخدمة هذا الدين الحنيف.

والعلوم التي يطلب من المسلم معرفتها تتعدد، وتنقسم إلى أقسام:

أولاً: العلم بالله تعالى

العلم بالله تعالى هو العلم الذي يتعلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى، ومعرفة حقيقة الألوهية والعبودية، فيُفرد المسلم خالقه بالعبادة، ولا يشرك معه أحداً بهذه العبودية، فيؤمن بأن الله ليس له ولد ولا شريك، وأنه خالق الأكوان وما فيها، ومُدَبِّرُها وحافِظُها من أن تزول إلى أن تأتي الساعة، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ﴾[1].

---

(١) فاطر: ٤١.

والعلم بالله يشمل أيضاً العلم بصفاته عز وجل التي ذكرها في القرآن الكريم والتي أحصاها الرسول عليه الصلاة والسلام فقال: (لله عز وجل تسعة وتسعون اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها كلها دخل الجنة)[1].

والإحصاء هنا يشمل العلم بهذه الصفات والعمل بمقتضاها، فيحصي المسلم صفات الله التي تدل على وحدانيته، ككونه الواحد الفرد الصمد وغير ذلك، كما يحصي الصفات التي تدل على قدرة الله وقوته، والصفات التي تدل على رحمته وعفوه عن عباده إلى جانب الصفات التي تدل على شدة انتقامه من العصاة والكفرة الذين يخالفون منهجه.

وهذا العلم يشتمل أيضاً على معرفة سنن الله تعالى في خلقه، التي ذكرها في القرآن الكريم وأوضحها الرسول عليه الصلاة والسلام، إضافة إلى

---

(١) رواه أحمد.

الاطلاع على أخبار الأمم السابقة التي جرت عليها كثير من السنن الإلهية.

ومن مميزات هذه السنن أنها لا تتبدل، وهي ماضية إلى يوم القيامة، وهذا ما أوضحه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1].

ومن هذه السنن التي يمكن ملاحظتها:

أ ـ سنة الابتلاء:

يلاحظ المرء سنة الابتلاء عند الاطلاع على أخبار الأمم القديمة، كما يلاحظها عند التفكر في الابتلاء الذي لا يخلو منه بيت من البيوت، وهذا الأمر أوضحه الله تعالى بقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[2].

والابتلاء بالشر ورد ذكره في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ

(١) الأحزاب: ٦٢. (٢) الأنبياء: ٣٥.

أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1].

فمن هذه الآية يمكن استنباط الداء والدواء، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى فيها الابتلاء كما ذكر طريقة معالجته، فذكر الخوف والجوع والموت والنقص بالرزق، كما ذكر الطريق الذي يجب على المسلم أن يسلكه في حال إصابته بهذه الأنواع من الابتلاءات وهو الصبر واسترجاع الأمر عند الله بقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

أما الابتلاء بالخير فقد ورد ذكره أيضاً في الآيات القرآنية فقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[3].

---

(١) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧. (٢) الكهف: ٧.
(٣) الأنفال: ٢٨.

وهذا النوع من الابتلاء يختلط مفهومه في أذهان كثير من الناس، فيعتقدون أن في هذا النوع من العطاء دليل محبة من الله سبحانه وتعالى للعبد الذي مُنح هذا الخير، إلا أن الواقع غير ذلك، وهو ما أوضحه رسول الله ﷺ بقوله: (إن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدّين إلا لمن أُحب)[1].

فهذا النوع من العطاء إذاً هو ابتلاء من الله سبحانه وتعالى ليعلم من يؤدي شكر الله فيه ممن يؤدي به البطر إلى أن يقول كما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[2].

وقد قال الله سبحانه وتعالى في هذا المعنى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[3].

وفي سنة الابتلاء بالشر والخير يظهر قول

---

(١) رواه أحمد.
(٢) القصص: ٧٨.
(٣) لقمان: ١٢.

رسول الله ﷺ: (الإيمان نصفان: نِصْفٌ صَبْرٌ ونِصْفُ شُكْرٌ)[1].

ب ـ سنة العقاب الدنيوي لكل من خالف منهج الله:

يلاحظ المرء سنة العقاب الدنيوي لكل من خالف منهج الله عند الاطلاع على أخبار الأمم السابقة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وممن أصابتهم هذه السنة قوم لوط الذين اشتهروا بارتكابهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، حيث كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وقد حاول نبيهم لوط عليه السلام ثنيهم عن ذلك، وتخويفهم بعقاب الله على من فعل مثل هذا المنكر، إلا أنهم لم يستمعوا إليه، بل أرادوا الاعتداء على ضيوفه الملائكة الذين جاءوا ليخبروه عليه السلام باقتراب موعد عقاب قومه، وقد قال تعالى في وصف أفعال هؤلاء القوم على لسان لوط عليه السلام:

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[1].

ونتيجة لارتكابهم هذه الفاحشة العظيمة فإن عقابهم كان عبارة عن مطر شديد، ولكن هذا المطر كان يختلف عن غيره بأنه مطر من حجارة، قال عز وجل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2].

ومن هؤلاء أيضاً قوم شُعَيب الذين لم يوفوا الكيل والميزان فأنزل الله عليهم سوط عذاب، وقد قال تعالى في وصف عقابهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾[3][4].

ثانياً: معرفة الأحكام الشرعية

تأتي أهمية هذا العلم من كونه يتعلق بصحة العمل لله والالتزام بمنهجه الذي أمر به، إذ أن الطاعة

---

(١) الأعراف: ٨١.
(٢) الأعراف: ٨٤.
(٣) جاثمين: هامدين.
(٤) هود: ٩٤.

والعبادة هي تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه، بمعنى أن كل أمر تعبدي، يجب أن يكون فيه نص شرعي بفعله أو قوله، وهذا النص ممكن أن يكون مأخوذاً من القرآن الكريم أو من السنة النبوية الشريفة، فإذا فعل الإنسان أمراً مخالفاً للشرع بسبب جهله بالحكم الشرعي أدى ذلك إلى وقوعه في الإثم، كما لو صام الإنسان يوم العيد وأيام التشريق[1]، فهذا الأمر وإن كان ظاهره طاعة لله عز وجل إلا أن فيه معصية كبيرة لوجود النهي عن ذلك.

ومن هنا يمكن استخلاص السبب الذي يجعل من العلم ضرورة شرعية على كل مسلم مكلف، ألا وهو صحة العمل. والمسلم هنا لا يُقصد به الرجل فقط، بل هو يتعلق بالمرأة والرجل على حد سواء، لأن الخطاب التكليفي في القرآن الكريم وإن جاء في صيغة المُذَكَّر إلا أنّ المقصود به كل من الذَّكَر

(١) أيام الثاني والثالث والرابع من عيد الأضحى المبارك.

والأنثى، لأنهما معاً مُكَلَّفَيْنِ بعِمارة الأرض كما أنهما معاً مُحاسَبَيْنِ على أعمالهما، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم بقوله: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[1].

ففي هذه الآية دليل على أن المرأة مكلفة بالعلم، لأن الكسب يأتي نتيجة العمل، والعمل إنما يأتي نتيجة العلم.

ولكن تكليف المرأة يختلف في بعض الأحيان عن تكليف الرجل، لأنه قد يتعلق بحاجات المرأة التي تختلف في بعض الأحيان عن حاجات الرجل، فيخرج[2] بذلك ضرورة علمها بالعلوم التي تختص بالرجال كصلاة الجنائز ودفن المَيْتِ وغير ذلك.

وتبدأ حاجة المرأة إلى العلم عند البلوغ، فعليها معرفة أحكام الحيض وشروطه، وأحكام الطهارة والغُسْل، وأحكام الوضوء والصلاة.

---

(١) النساء: ٣٢.

(٢) يخرج: غير ضروري.

ثم تأتي بعد ذلك حاجتها إلى العلم بأحكام الصوم في رمضان، وأحكام الحج في حال وجدت المال، كما عليها أن تعرف أحكام الزكاة في حال امتلاكها للمال.

وهكذا تتزايد حاجات المرأة إلى العلم بازدياد تقدمها في العُمُر، فإذا خُطِبَتْ وجب عليها معرفة حقوقها وواجباتها تجاه زوجها وأبنائها، وذلك بهدف القيام بالواجب الشرعي الذي كلفها به الإسلام والذي أوضحه رسول الله ﷺ بقوله: (كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته)[1].

وهذه الرعاية تستوجب من المرأة المعرفة الشرعية بماهية المسئولية المنوطة بها، إذ أنها موكلة بمراعاة حق الله في زوجها، فتطيعه فيما أمر الله به،

---

(١) رواه البخاري.

وتحفظ بيته في حال غيابه وحضوره، فلا تُدخل بيته من يكرهه، ولا تنقل أخباره وأسراره، وتهتم برعاية أبنائه، فتربيهم التربية الدينية، وتعلمهم أحكام الإسلام منذ الصغر، وتغرس محبة الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام في قلوبهم، وتنشئهم على مخافة الله واستشعار هذه المخافة في كافة أعمالهم.

ويجب على المرأة أيضاً أن تتعلم أحكام الحلال والحرام، وتتعلم حدود ما أحل الله وحرَّمه في كل جانب من جوانب حياتها المنزلية والاجتماعية والمهنية.

فعلى المرأة أن تتحرى في حياتها المنزلية طلب الحلال في المطعم والمشرب، فتسعى إلى الرزق الحلال وتشجع زوجها عليه، وتتجنب إدخال المحرمات التي حرمها الله على عباده إلى منزلها، من لَحْمِ خِنْزِيرٍ وخَمْرٍ وما إلى ذلك.

كما أنّ عليها أن تسعى في حياتها الاجتماعية إلى معرفة الحدود المباحة في التصرفات فيما يتعلق بالعلاقات بين الناس، فتعرف حرمة الخَلْوَة

والاختلاط، وحرمة الزينة والتبرج، وحرمة الخضوع في القول[1]، والكلام فيما لا يغني ولا يفيد، وحرمة التحدث بين الناس بالغيبة والنميمة، لكونهما من الكبائر التي حرمها الله سبحانه وتعالى، وقد شَبَّه الله سبحانه وتعالى الغيبة بأكل لحم المَيْت بقوله عَزَّ من قائل: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[2].

وعليها أن تعرف كذلك حرمة التباغض والتحاسد اللّذان قال عنهما رسول الله ﷺ: (لا تباغضوا ولا تناجشوا[3] ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً)[4].

ومن المحرمات التي يجب على المرأة معرفة حرمتها أيضاً حرمة إتيان الكاهن أو الساحر وأشباههما من المعاصرين وتصديقهم، لأن في فِعْلِ هذا الأمر دليل على خلل في العقيدة ناجم عن عدم اليقين بأنه

---

(١) الخضوع في القول: التَّغَنُّج والتَّدَلُّع أثناء الكلام.
(٢) الحجرات: ١٢.
(٣) النَّجَش: الزيادة في ثمن السلعة لخداع الغير.
(٤) رواه أحمد.

لا يعلم الغيب إلا الله، وأنه لو اطلع أحد على الغيب لكان رسول الله عليه الصلاة والسلام أولى بذلك، وقد قال عليه الصلاة والسلام عندما سُئِل عن موعد الساعة: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل)[1]، كما قال عليه الصلاة والسلام في معرض تِبْيانه لحرمة الالتجاء إلى الكاهن أو الساحر: (من أتى حائضاً أو امرأة في دُبُرِها أو كاهناً فصدَّقه فقد برئ مما أَنزل الله على محمدٍ عليه الصلاة والسلام)[2].

كما أن في إتيان الكاهن دليل على عدم الرضا بقضاء الله تعالى وقدره، ودليل على الاعتقاد بأن الكاهن أقدر على منفعته من الله تعالى، وأنه أقدر على دفع الضرر عنه، وهذا الأمر يُخِلُّ بالعقيدة الصحيحة، لذلك جاء حديث رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما ليحذر من هذا الأمر، فقد قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما:

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد، برئ مما أَنزل الله: كفر به.

(احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَت الأقلام وجَفَّت الصحف)[1].

وعلى المرأة أن تسعى أيضاً في حياتها المهنية إلى تعلم حدود ما يحل لها ويحرم عليها في مجال التصرف بالأموال، فتعلم حرمة التصرف في مال زوجها من دون إذنه، وحرمة إقراض المال بالربا، وحرمة العمل في المؤسسات الربوية، وفي المؤسسات التي تبيع المنكرات، كالعمل في المطاعم والفنادق التي تبيع الخمر وتشجع على الدعارة.

إضافة إلى ذلك فإن المرأة تحتاج أيضاً إلى تعلم أحكام الحلال والحرام الخاصة بمهنتها، فإذا كانت

---

(١) رواه الترمذي.

طبيبة نسائية وجب عليها معرفة أحكام الطهارة، وأحكام العلاقة الزوجية، وأحكام سَتْرِ العورات داخل غرف العمليات، وإذا كانت مهندسة معمارية وجب عليها معرفة أحكام البناء الإسلامي وأُسُسِه من السُّتْرَة ومواجهة القِبلة، وإذا كانت مُزَيِّنَةَ شَعْرٍ وجب عليها معرفة أحكام الإسلام في كراهة قص الشعر في حال الجَنابة (المحيض/ الجِماع)، وحرمة تغيير خلق الله (الوَشْم[1]/ التَّنَمُّص[2]/ التَّفَلُّج[3]) وغير ذلك.

أما أهم أمر يجب على المرأة مراعاته في عملها فهو مراعاة حكم الشرع في كل أمر يوكل إليها، فإذا كان مباحاً فَلْتَفعله، وإذا جَهِلت حُكمه فَلْتَسأل ولْتَستفتي، أما إذا عَلِمَت حرمته فَلْتَمتنع عن القيام به لأنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[4].

---

(١) الوَشْم: رسوم تُرسم على الجسد.

(٢) التَّنَمُّص: إزالة الشعر عن الحواجب.

(٣) التَّفَلُّج: بَرْدُ الأسنان ليتباعد بعضها عن بعض قليلاً، ويسمى أيضاً: «الوَشْر».

(٤) رواه الترمذي.

كيفية التعرف على العلوم المطلوبة

تتعدد الوسائل التي يمكن بواسطتها التزود بالعلم، ومن هذه الوسائل:

١ ـ القراءة:

تأتي أهمية القراءة لكون أول آية أُنزلت من القرآن هي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾[١]، ثم توالت الآيات بعد ذلك تدعو إلى التزود بالعلم، وقد سُمِّيَ كتاب الله قرآناً، والقرآن اسم مشتق من القراءة، وسُمِّيَ قرآناً كما يرى بعض العلماء «لكونه جامعاً لثمرة جميع العلوم»[٢].

---

(١) العلق: ١.

(٢) محمود، علي عبد الحليم، المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، المنصورة ـ مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.، ص٨٣.

وأول ما على المرء أن يقرأه هو كتاب الله عز وجل الذي أمر الله عباده بتلاوته وترتيله، وجعل لهم الأجر على ذلك، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن أَلِفٌ حرف ولامٌ حرف وميمٌ حرف)[1].

وهذا الأجر لا يختص فقط بمن يحسن القراءة والترتيل والتجويد، بل إن رسول الله ﷺ حث على تعلم القرآن حتى لو كان هذا الأمر شاقاً في البداية، فقال عليه الصلاة والسلام: (الذي يقرأُ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه، قال هشام: وهو شديد عليه، قال شُعبة: وهو عليه شاق، فله أجران)[2].

ومن الحسنات التي يمكن أن يكسبها الإنسان من قراءة القرآن الشفاعة في الآخرة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)[3].

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه مسلم.

ومن الكتب التي يجب على المسلم أن يطلع عليها كتب السنة النبوية الشريفة وذلك بهدف التعرف على أقوال وأفعال الرسول ﷺ، والاقتداء بها، وتنفيذ أوامره ونواهيه، لأن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بذلك فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2].

كما أن في كتب السنة النبوية الشريفة معلومات عن سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة أصحابه رضي الله عنهم الذين جاهدوا بالنفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل، فكان بعضهم، نتيجة لجهادهم، من المبشرين بالجنة الذين قال فيهم الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾[3]، فيكون في الاطلاع على سيرة هؤلاء حافز على العمل والعطاء في سبيل الله.

---

(١) الحشر: ٧.
(٢) النجم: ٣ ـ ٤.
(٣) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

ولعل من فوائد اطلاع المرأة على كتب السيرة، التعرف على أخبار النساء الأوائل اللواتي جاهدن مع رجالهن، وقمن بمهمات كبيرة خدمت الأمة الإسلامية، ولا تزال آثار بعض هذه الخدمات ملموسةً إلى الآن، ومن هؤلاء النسوة عائشة رضي الله عنها زوج الرسول ﷺ، التي كانت، وعلى رغم صِغَرِ سنّها، مرجعاً علمياً كبيراً لكثير من الصحابة حتى قال عنها أحد الصحابة وهو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا أصحابَ رسول الله ﷺ حديث قط إلا وجدنا عندها منه علماً»[1].

والسيدة عائشة رضي الله عنها ليست الوحيدة التي كانت عالمة، فقد كانت حفصة بنت عمر رضي الله عنها، زوج الرسول ﷺ أيضاً، تقرأ وتكتب وكانت تعلِّم النساء القراءة والكتابة.

ومن الكتب التي يُستحب للمسلم قراءتها، كتب

---

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ج٢، ص٢٤.

العلماء الذين عَمَدوا إلى كتاب الله وفسروه، وأوضحوا أسباب نزوله، كما عَمَدوا إلى كتب السنة فاستنبطوا منها علوماً عديدة، مثل علوم الحديث، علوم الأخلاق، وغير ذلك. وعَمَدوا كذلك إلى نقل أخبار الأمم القديمة عبر الكتب ليستفيد الإنسان من تجاربها ويتجنب الأخطاء التي أدت إلى هلاك كثير منها.

كما يمكن للمسلم أيضاً أن يطلع على كتب السِّيَر الشخصية التي يتحدث فيها كاتبها عن تجاربه في الحياة، ويقدم فيها للمسلمين النصيحة عملاً بقول رسول الله ﷺ: (الدين النصيحة)[1].

وهذه العلوم التي ورد ذكرها في الفقرة السابقة لا تعتبر من العلوم المفروضة، بل إن الإنسان يتزود منها على قدر همته وقدر فراغه، لأن العلم كالإيمان لا يمكن أن يأتي بالإكراه، بل هو يزداد وينقص بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]، ومن

---

(١) رواه البخاري. (٢) طه: ١١٤.

هنا كانت نصيحة أبو الدرداء رضي الله عنه لطلابه: «كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك»[1].

٢ ـ حضور مجالس العلم:

شجع الرسول عليه الصلاة والسلام على حضور مجالس العلم، ولم يجعل الأمر مختصاً بالرجال فقط، إذ إنه كان يخصص للنساء يوماً في الأسبوع يعلمهن فيه أمور دينهن، ويسمع منهن الاستفسارات والأسئلة، وقد ذكر القرآن الكريم قصة المرأة التي جاءت تشتكي زوجها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2].

وكانت المرأة من شدة ورعها وخشيتها من رب العالمين، كثيراً ما تهرع إلى الرسول ﷺ لتستفتيه فيما تتعرض له في حياتها اليومية، فهذه هند بنت عُتْبَة بن

---

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص٣١٨.
(٢) المجادلة: ١.

ربيعة قالت: (يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل مِسّيكٌ[1]، فهل علي حرج أن أُطْعِمَ من الذي له[2] عِيالَنا، قال: «لا أُراه إلا بالمعروف»[3])[4].

كما أن الحياء لم يكن يمنع النساء الصحابيات من الاستفسار عن الأحكام الخاصة بالنساء، فهذه أسماء بنت يزيد الأنصارية تسأل الرسول عليه الصلاة والسلام عن المحيض، وهذه أم سُلَيْم، والدة أنس بن مالك، تسأل الرسول ﷺ عن احتلام المرأة هل فيه غُسْلٌ، فقالت: (يا رسول الله، إن الله لا يَسْتَحْيي من الحق، فهل على المرأة من غُسْلٍ إذا احْتَلَمَتْ؟ قال النبي ﷺ: «إذا رأت[5] الماء»)[6].

ولم تكن المرأة تكتفي في هذه المجالس أن تسمع وتنصت بل كانت تسأل وتستفسر عن كل شيء

---

(١) مِسّيك: بخيل.
(٢) من الذي له: من مالِه.
(٣) بالمعروف: على قدر الحاجة دون زيادة.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رأت: أَنزلت.
(٦) رواه البخاري.

تراه مبهم المعنى، فهذه عائشة رضي الله عنها نُقل عنها أنها (كانت لا تسمع شيئاً لا تعرِفُه إلا راجعت فيه حتى تعرِفَه، وأن النبي ﷺ قال: «من حوسِبَ عُذِّب»، قالت عائشة: فقلت: أوَ ليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[1]؟ قالت: فقال: «إنما ذلِكِ العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلِك»)[2].

وقد أكد الرسول عليه الصلاة والسلام على أهمية حضور مجالس العلم، وشدد على الفائدة التي يمكن أن يجنيها الإنسان من هذه المجالس، فقال عليه الصلاة والسلام: (لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ باباً من العلم، عُمِلَ به أو لم يُعمل، خير من أن تصلي ألف ركعة)[3].

٣ ـ التفكر في ملكوت الله:

أشار الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم إلى أن

---

(١) الانشقاق: ٨.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه ابن ماجة.

التفكر في ملكوت الله باب من أبواب العلم، وأكد الله عز وجل أن الآيات التي تدل على عظمته عز وجل منتشرة في الكون، وما على الإنسان إلا أن يتفكر فيها ليزيد إيمانه وليزداد قرباً من الله تعالى، فقال عز وجل في هذا المجال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[1].

وقد أكدت الدراسات الحديثة على أهمية التفكر كباب من أبواب العلم، فقد ذكرت المستشرقة الألمانية «زيغريد هونكة» في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» أن علماء المسلمين هم الذين أسّسوا البحث العلمي وفي مقدمتهم العبقري ابن الهيثم، و«توضح هونكة بالأدلة التاريخية أن ابن الهيثم هو المؤسس

---

(١) آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١.

الحقيقي لعلم الفيزياء، وتقول أنه استطاع أن يصل إلى هذه الرتبة بفضل التأمل النظري والتجربة الدقيقة»[1].

وقد أكد علماء الإسلام القدامى على أهمية التفكر وفضلوه في بعض الأحيان على العبادة، فقال الحسن البصري رحمه الله: «تَفَكُّرُ ساعة خير من قيام ليلة»[2].

---

(١) بدري، مالك، التفكر من المشاهدة إلى الشهود، المنصورة ـ مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ. ـ ١٩٩٢م.، ص١٠٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، ١٩٩٦م.، المجلد الأول، ص٤٤٧.

فوائد العلم

تتعدد الفوائد التي يمكن أن يجنيها الإنسان من العلم، فهي، إضافة إلى إسقاط التكليف الشرعي الذي أَمَرَ به الله سبحانه وتعالى، تتضمن أيضاً فوائد دنيوية وأخروية، منها:

١ ـ الاطمئنان والسكينة التي تحصل لطالب العلم، وفي هذا المعنى قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السّكينة وغشيتهم الرّحمة وحَفَّتْهُم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)[٢].

---

(١) الرعد: ٢٨.

(٢) رواه أبو داود.

والسكينة هي صفاء القلب وذهاب الظُّلمة من النفس.

٢ ـ النجاة من الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[١].

والضلال في الدنيا يكون في الانحراف عن الصواب، والشقاء في الآخرة يكون في العقاب الأبدي.

وقال عليه الصلاة والسلام: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسُنّة نبيّه)[٢].

٣ ـ الرضا بالقضاء والقدر، فيرتاح الإنسان من الحسد والبغض والكره، ويوقن بأن الله سبحانه وتعالى قد قسم المعيشة بين الناس، فقد قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٣].

كما يعمل أيضاً بما أمره سبحانه وتعالى به بقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) طه: ١٢٣.
(٢) رواه مالك.
(٣) الزخرف: ٣٢.

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[1]، فيقنع بما رزقه الله ولا يطمع بما في يد الآخرين.

٤ ـ الحصول على مرضاة رب العالمين ليدخل الجنة إن شاء الله تعالى لقول رسول الله ﷺ: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة)[2].

---

(١) طه: ١٣١.

(٢) رواه الترمذي.

خاتمة

لا بد في الختام من التأكيد على أن للعلم شروطاً لا بد من توافرها عند طالب العلم، ومن هذه الشروط إخلاص النية لله تعالى، وفي هذا المعنى جاء الحديث النبوي الشريف ليقول إن من بين الأوائل الذين يقضي الله يوم القيامة عليهم (رجل تَعَلَّم العلم وعَلَّمَه وقرأ القرآن، فَأُتِي به فعَرَّفَه نِعَمَهُ فعرَفها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلَّمتَ العلم ليقال عالم وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار)[1].

ولا بد أيضاً من أن يقترن العلم بالعمل، وقد وردت في هذا المجال نصيحة لأحد العلماء يخاطب فيها طالب العلم بقوله: «اعلم أن علماً لا يبعدك اليوم

---

(١) رواه مسلم.

عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة، لن يبعدك غداً عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تَدارَكِ الأيام الماضية، تقول غداً يوم القيامة: ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾[1]، فيقال لك: يا أحمق أنت من هناك تجيء»[2].

وقد ترك الله للإنسان حرية الاختيار بقوله عَزَّ من قائل: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾[3]، فإن اختار الآخرة فليعمل لها، وإن اختار الدنيا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأنهي كلامي بدعاءٍ إلى الله سبحانه وتعالى ورجاءٍ منه، أن يَهديني وكل طلبة العلم الشرعي، وكل قارئ وقارئة، لأن نكون ممن يخافون عقابه ويبتغون رضوانه، ربنا اجعلنا منهم، واخْتِم بالصالحات أعمالنا، إنك خير مسؤول وخير مجيب.

وآخر دعوانا أَنِ الحمد لله رب العالمين

---

(١) السجدة: ١٢.

(٢) الغزالي، أيها الولد، مؤسسة الرَّيّان، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ. ـ ١٩٩٢م.، ص١٦.

(٣) البلد: ١٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- كتب السنة النبوية الشريفة.
- ابن الجوزي، صفة الصفوة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ. ـ ١٩٨٩م..
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، ١٩٩٦م..
- بدري، مالك، التفكر من المشاهدة إلى الشهود، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ. ـ ١٩٩٢م..
- الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ. ـ ١٩٩٢م..
- الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
- الغزالي، أيها الولد، مؤسسة الرَّيّان، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ. ـ ١٩٩٢م..
- محمود، علي عبد الحليم، المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ـ مصر، الطبعة الثانية، ١٩٩١م..

كلية الامام الاوزاعي - المكتبة

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
ماهية العلوم المطلوبة	٨
أولاً: العلم بالله تعالى	٩
أ - سنة الابتلاء	١١
ب - سنة العقاب الدنيوي لكل من خالف منهج الله	١٤
ثانياً: معرفة الأحكام الشرعية	١٥
كيفية التعرف على العلوم المطلوبة	٢٤
١ - القراءة	٢٤
٢ - حضور مجالس العلم	٢٩
٣ - التفكر في ملكوت الله	٣١
فوائد العلم	٣٤
خاتمة	٣٧
المصادر والمراجع	٣٩
الفهرس	٤٠

011FS29826